التراث العربي

مجلة فصلية محكمة تصدر عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق

في هذا العدد

بلاد الشام في عيون التراثيين	د. محمود الريداوي
حروف الجر بين النيابة و التضمين	د. أحمد مطر العطية
المنازل و الديار	د. وفيق سليطين
مرتكزات التنمية في الفكر الاقتصادي الاسلامي	د. أكرم محمود الحوراني

العدد (112) (ذو الحجة) 1429 هـ (كانون الأول) 2008 السنة الثامنة و العشرون

- - المحتوى - -

١	ـ الافتتاحية: ـ **بلاد الشام في عيون التراثيين** ـ	د. محمود الربداوي	٧
	الدمشقيات		
٢	ـ أضرحة أعلام التاريخ الإسلامي بدمشق	أ. محمد مروان مراد	١٩
٣	ـ محمد أمين المحبي الدمشقي معالمه وعالمه الفكري	سليمى محجوب	٢٧
٤	ـ خوانق دمشق	محمد عيد الخربوطلي	٥١
٥	ـ المنازل والديار	وفيق سليطين	٦٣
٦	ـ دمشق عاصمة كنعانية آرامية	د. علي أبو عساف	٧٣
٧	ـ خطيب دهشة حماة	سناني سناني	٨٣
٨	ـ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي مفسراً	د. عبد العزيز حاجي	١٠٣
٩	ـ التراث والحداثة في الفكر المعماري العربي المعاصر	د. حسام دبس وزيت	١٥١
	اللغويات		
١٠	ـ القسم المحذوف المقدَّر	د. محمد طاهر الحمصي	١٦٧
١١	ـ اعتراضات البغدادي النحوية على العيني	د. هزاع سعد المرشد	١٨٥
١٢	ـ اجتماعات الهمزتين أو الهمز المزدوج	د. محمد خان	٢١١
١٣	ـ حروف الجر بين النيابة والتضمين	د. أحمد مطر العطبة	٢٣٣
١٤	ـ التفاعل الدلالي بين المستويات اللسانية	د. صفية مطهري	٢٦١
	الإسلاميات		
١٥	ـ مرتكزات التنمية في الفكر الاقتصادي الإسلامي	د. أكرم محمود الحوراني	٢٧٥
	البلاغة والفن		
١٦	ـ المنهجيات الحديثة في نقد النص التراثي	د. عبد الله أبو هيف	٢٩٧
١٧	ـ قراءة في كتاب (البيئة والإسلام)	أحمد سعيد هواش	٣٢٥

nN

التفاعل الدلالي
بين المستويات اللسانية

د. صفيّة مطهري (*)

U——————————————— u

إن ما تمتاز به العلوم اللغوية بشتى أنواعها وتنوعاتها هو كونها ذات نظام علائقي يجمعها فلا تحيد عنه ولا يمكنها ذلك، إذ تعد بمثابة الجملة التي هي عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها تتألف من أجزاء لسانية تحكم بنيتها لتجعل منها نظاماً تربطه علائق دلالية تعد مرتكزاته الأساسية الماثلة والمتمثلة في جملة من القضايا اللغوية.

إن المستويات اللسانية على اختلاف خصائصها وتخصصاتها تتفاعل فيما بينها تفاعلاً علائقياً، وذلك باستخدام إجراءات وأدوات لسانية تؤدي إلى معرفة البنية اللسانية للغة العربية، إذ تتشكل هذه الأخيرة من مواد لسانية تتجسد في المستويات الآتية: الصوتي، فالمورفولوجي فالتركيبي؛ حيث تعمل هذه المستويات مجتمعة داخل البنية اللغوية.

ومن هنا فإن العلاقة القائمة بين المستويات اللغوية هي علاقة منظمة ومنسقة، وبهذا نستطيع أن ندرك أن نظام المعنى في الجملة العربية يخضع لنهايات الكلمات تلك النهايات المتعلقة بظاهرة الإعراب التي تنماز بها اللغة العربية دون سواها. هذه الظاهرة تترجمها وحدات وعناصر لغوية تعمل بواسطتها من الناحية الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والسياقية، لتنصهر كلها في حقل علمي ومعرفي واحد هو الحقل الدلالي.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران ــ الجزائر.

١ ـ المستوى الصوتي:

مما لاشك فيه أن معرفة البنى النظامية لحركية الأصوات في اللغة العربية أمر ضروري يُلزِم الباحث لاستقصاء هذه البنى النظامية لحركية الأصوات ودراستها، إذ ينطلق الباحث من القاعدة الصوتية الفيزيولوجية المشتركة بين جميع الناس الذين يتكلمون اللغة فينتجون كلاماً عن طريق الجهاز النطقي الفيزيولوجي، هذا الجهاز هو قادر على صياغة الأصوات البشرية انطلاقاً من أقصى الحلق إلى غاية الشفتين. وتظهر من ذلك الصفات الفيزيائية والفيزيولوجية للأصوات التي هي قاسم مشترك بين جميع اللغات، ولهذا بات من الضروري معرفة النظام الصوتي للغة العربية التي يراد تعليمها، وذلك من خلال وضع منهج واضح وسهل يمكن المعلِّم من الاستيعاب ثم توصيل المعلومات إلى المتعلِّم.

إن لمعنى الكلمة تأثيراً صوتياً يوحي بدلالتها وهو قسمان[١]:

١ ــ تأثير صوتي مباشر: قد ينحصر فيما تدل عليه بعض الأصوات مثل صليل السيوف، وخرير الماء، مواء القط، إذ يحاكي فيه التركيب الصوتي الاسم.

٢ ــ تأثير صوتي غير مباشر: مثل القيمة الرمزية للكسرة ويقابلها في الإنجليزية «I» التي ترتبط في أذهان الناس بالصغر أو الأشياء الصغيرة.

وقد وظف سيبويه الصوائت توظيفاً هاماً وبنى عليه كثيراً من الآراء إن لم تكن نظريات، ومن أقواله: «إنما كان الرفع في هذا الوجه لأن هذه خصال»[٢] وهذا في ضم عين الصيغة الحديثة. وقال أيضاً: «فإن رفعت فالذي في نفسك ما أظهرت»[٣].

يستشف من فحوى هذين النصين اهتمام سيبويه بتحديد الدلالة الظاهرية والباطنية للناطق من استعمال الصوائت. كما أن الدلالة في الصوائت هي التي تظهر في بعض الصيغ الوصفية؛ فإذا كانت دلالة الصيغة الحديثة تكمن في وسطها مثل فَعُلَ وفَعِل، إذ يدل الضم فيها على الثبات، ويدل الكسر على الزوال، والفتح حياد، فإن للوصفية البداية في مثل القِسْط العدل والقَسْط الجور، والقُسْط عود طيب، من ذلك قول قطرب في مثلثه[٤]:

طارحني بالقَسط ** ولم يزن بالقِسْطِ

(١) يراجع علم الدلالة لأحمد مختار عمر، الطبعة الأولى ١٩٨٢ دار العروبة للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ص٤٠.

(٢) الكتاب لسيبويه، أبي بشر عثمان بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثانية ١٩٧٧، مكتبة الخانجي، بمصر، ص١: ٣٦١.

(٣) م.س.ص ٢٨٢: ١

(٤) مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية لرضا السوسني، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٧٨ ــ ص ٦٢.

فـــــي فيـــــه طعـــــمُ القُسْـــــطِ والعنبـــــــــر المُطَيَّـــــــــبِ

ومثله كذلك في المشتقات في اسمي المرة والهيئة فَعْلَة وفِعْلَة.

هذا بالنسبة للصوائت، وأما الصوامت فهي الأخرى لها دلالة كامنة فيها تظهر إمـــا مـــن خلال ذواتها أو رتبها في المباني، وقد أقر الدارسون العرب من خلال رصـــد المبـــاني أن النون المتبوعة بالباء تدل على مطلق الظهور مثل نبت، ونبس، ونبش، ونبش، ونبع، ونبغ.

ومن خلال ملاحظة المباني ومواقع صوائتها يمكننا أن نحدد الدلالة في أصـــول المبـــاني أيضاً حيث نجد للعلامة الإعرابية في آخر المباني التركيبية وظيفة أساسية تفرق بين المثنى والجمع السالم في مثل المعلمَيْن والمعلمِين مثلاً.

الوظيفة الدلالية للعلامة الإعرابية:

إن العلامة الإعرابية هي عبارة عن مورفيمات ذات أبعاد دلالية تتحدد وفـــق ملابســـات تركيبية تفرضها السياقات المختلفة للتراكيب اللغوية. كما أن العلامة الإعرابيـــة فـــي اللغـــة العربية تتمثل في هذه الحركات الثلاثة الممثلة في الفتحة والضمة والكسرة، وتعد أساســـية، وفي غيرها من علامات الإعراب الفرعية.

أما الأساسية، فقبل البدء في إعطاء وظائفها الدلالية، أود أن أذكِّر بمخارجهـــا الصـــوتية المختلفة في الجدول الآتي[1]:

الحركة	موضع نطقها	درجة انفتاح الشفتين	صفتها
كسرة	أمامية	منغلقة	منفرجة
فتحة	وسطية	منفتحة	منفرجة
ضمة	خلفية	منغلقة	مستديرة

إن للصوائت الثلاثة مخارج في الجهاز النطقي، وذلك باعتبار دلالة مصطلحاتها. فالفتحة هي صوت لين قصير متسع ينفتح معه الفم وينتصب اللسان، أما الضمة فهي صـــوت لـــين قصير ضيق يرتفع معه اللسان عند النطق، وكذا بالنسبة للكسرة فهي صوت لين قصير ضيق إذ ينكسر معه طرف اللسان ويضيق المجرى الهوائي.

وإذا كان اللسان يرتفع مع الضم فهو ينكسر مع الكسر وبالتالي فهما صوتان متضادان في حين نجد الفتحة تتوسطهما باتساعها إذ منها تنطلق الحركة متجهة نحو الضم أو نحو الكسر. وهذا ما نستخلصه من الرسم الآتي:

(١) يراجع التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث للطيب البكوش، الشركة التونسية لفنون الرسم، تـــونس ١٩٧٣، ص ٤٨.

الحلق ـــــــــــُـــــــــــــــــــَـــــــــــــــــــِـــــ الشفتان

فهو يبين لنا وضعية الصوائت وصورها واتصالها وتآلفها وتنافرها في الصيغة الواحدة. فالضمة يرتفع صوتها لأعلى ثم يتجه نحو الفتحة أو الكسرة في نهاية الفم أي الشفتين.

وعليه فإن الضمة والفتحة متجاورتان متباعدتان والفتحة والكسرة متجاورتان متقاربتان والضمة والكسرة متباعدتان متنافرتان، وإن الاتجاه من الضم إلى الكسر هابط بينما يكون العكس من الكسر إلى الضم فهو متصعد وفيه صعوبة.

إن للحركات الثلاثة وظائف دلالية في التراكيب اللغوية منها:

١ ـ **الفتحة علم المفعولية**: إن ظاهرة المفعولية في اللغة العربية مميزها هو الفتحة. والمفعولية هي سمة من سمات الأفعال إذ يتعدى الفاعل عمل فعله إلى غيره أو هو «ما وقع عليه فعل الفاعل بغير واسطة حرف الجر أو بها»(١). ونجد بأن سيبويه قد تناول هذه القضية أثناء حديثه عن الصيغة الإفرادية الحدثية ذات الدلالة الزمنية ومن ذلك قوله: «اعلم أنه يكون كل ما تعداك إلى غيرك على ثلاثة أبنية على فَعَلَ يفعِل وفَعلَ يَفْعُل وفَعِلَ يَفْعَل وذلك نحو ضَرَبَ يضْرِب، وقَتَلَ يَقْتُل ولَقِمَ يَلْقَم».(٢)

٢ ـ الضمة علم الإسنادية:

إن الإسناد تتقاسمه التراكيب اللغوية إذ يكون ممثلاً في طرفيه المسند إليه والمسند اللذان يعدان دعائم أساسية في الجملة العربية بنوعيها.

الجملة الاسمية: المبتدأ = مسند إليه.

الخبر = مسند.

الجملة الفعلية: الفاعل = مسند إليه.

الفعل = مسند

وتعد الضمة علماً للإسناد إذ تشكل باب المرفوعات في اللغة العربية شريطة تجرد هذين العنصرين من العوامل اللفظية والمعنوية.

٣ ـ الكسرة علم المجرورات:

إن سمة الجر خاصة بالأسماء دون الأفعال ودون الحروف. ولهذا فإن من علامات الأسماء الجر والكسرة علم المجرورات.

(١) كتاب التعريفات لعلي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٥، ص٢٤١.

(٢) الكتاب لسيبويه، ص ٤: ٣٨.

ـ المستوى الصرفي:

إن لهذا المستوى أهمية كبيرة في الدراسات اللغوية بصورة عامة وفي تحديد التراكيب اللغوية في اللغة العربية بصورة خاصة. والتصريف كما يقول ابن جني في كتابه المنصف: «إنما هو لمعرفة أنفس الكلم الثابتة»[١] ولأهميته كذلك فهو «مقدمة للنحو أو خطوة تمهيدية له، وهو وسيلة وطريق من طرق دراسة التركيب، ومعنى هذا أنه لا يجوز عزل أحد هذين العلمين عن الآخر في النظري والتطبيق لأن مسائلهما متشابكة إلى حدٍّ كبير»[٢]

كما أن نتائج البحث في علم الصرف ذات أهمية كبيرة وبالتالي فهي «لا قيمة لها ولا وزن.... مالم توجه إلى خدمة الجملة والتركيب. إذاً يجب البدء بقضايا الصرف عند أيِّ تحليل لغوي بوصفه مقدمة ضرورية»[٣]

كما أن المعاني النحوية تتبني على ما يقدمه الصرف للنحو من المباني و«هذا هو السبب الذي جعل النحاة يجدون في أغلب الأحيان أنه من الصعب أن يفصلوا بين الصرف والنحو فيعالجون كلاً منهما علاجاً منفصلاً ومن هنا جاءت متون القواعد مشتملة على مزيج من هذا وذاك يصعب معه إعطاء ما للنحو للنحو وما للصرف للصرف»[٤]

وتتجلى العلاقة بين علم الصرف وعلم النحو في موضوعات لغوية هامة يتجسد فيها دور الصيغة الإفرادية الحديثة في التراكيب النحوية منها:

١ ـ التعدي واللزوم: إن التعدية فرع اللزوم وهذه معنى قول الأولين «واقع» و«غير واقع»، و«لقد جنح العربي إلى التعدية بعدة وسائل بالحرف والهمزة والتضعيف ثم يكتسب الفعل التعدية»[٥] فكانت ظاهرة التعدي واللزوم ظاهرة صرفية نحوية، فثمة أوزان معينة تفيد لزوم الفعل أو تعدية وذلك مثل بناء المضموم العين «فَعُلَ» فهو لازم وإذا زيد بالهمزة أصبح متعدياً «أفعَلَ» مثل حَسُنَ وأَحْسَنَ، فحسُن فعل لازم، اكتفى بمرفوعه أما أحْسَنَ فهو فعل متعدٍ يحتاج إلى مفعول بعد فاعله ليتم معنى الجملة. فنلاحظ هنا أن بناء الفعل الصرفي قد تحكم في السياق النحوي للجملة ومثل فَعِلَ وأَفْعَلَ كفَرِحَ وأَفْرَحَهُ، وعَلِمَ الشيء وأعْلَمَهُ الشيء، فقد تغيرت الصيغة من فَعِلَ إلى أَفْعَلَ وتغيرها أحدث دلالات أخرى للجملة.

---

(١) المنصف لأبي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٩٥٤، ص١: ٤.

(٢) دراسات في علم اللغة لكمال محمد بشر، الطبعة الثانية ١٩٧١ دار المعارف القاهرة بمصر، ص ٨٤.

(٣) م.س.، ص.س. م

(٤) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، الطبعة الثانية ١٩٧٩، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص ١٧٨.

(٥) تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي لأسعد علي، الطبعة الأولى ١٩٦٨، مطبعة دار النعمان لبنان، ص ١٨١.

وفَعَلَ وأَفْعَلَ مثل قوله تعالى: ﴿وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل ــ ٧٨].(١) فالفعل أخرج هو فعل متعدٍ مزيد بالهمزة، واللازم منه هو خرج.

وسنحاول أن ندرس هذه الجملة دراسة صرفية ودراسة نحوية لنتبين العلاقة بين هاتين الدراستين ومنها ببين العلمين.(٢)

١ ـ الدراسة الصرفية:

المعنى	المبنى	العلامة
التعدية	أفعل	الهمزة

٢ ـ الدراسة النحوية:

المعنى	المبنى	العلامة
نصب أخرج مفعولاً به	كم (الضمير)	الهمزة

وتتضح العلاقة بين النحو والصرف في الآتي:

١ ــ أن المبنى أَفْعَلَ في السياق هو مفهوم صرفي وليس نحوياً.

٢ ــ أن صيغة أَفْعَلَ من خَرَجَ، أخْرَجَ تغيرت دلالتها بزيادة الهمزة من اللزوم إلى التعدية.

٣ ــ أن لهذه الزيادة (الهمزة في أَفْعَلَ) تأثيراً واضحاً في السياق النحوي بحيث ألزمتنا صيغة أفعل بالمجيء بمفعول به حتى يتم الفهم النحوي.

٤ ـ أن المعنى تعيَّن بواسطة المبنى.

وإذا أردنا إعراب هذه الجملة «أَخْرَجكم» ننظر إلى كلمة أَخْرَجَ ونحاول أن نبحث عن صيغتها فنجد بأنها:

١ ــ قد جاءت على صيغة أَفْعَلَ وهذا معطى صرفي.

٢ ــ نحدد دلالة هذه الصيغة الزمنية فهي تدل على الزمن الماضي.

٣ ــ تندرج صيغة أَفْعَلَ تحت قسم من أقسام الصرف هو قسم الأفعال المزيدة.

٤ ــ أن هذه الهمزة كانت سبباً في أن يحتاج الفعل إلى مفعول به.

---

(١) سورة النحل، الآية ٧٨.

(٢) يراجع اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان، ص ١٨١.

٥ ـ وبعد هذا كله ندرك بأن أفعل هو فعل ماض.

ثم ننظر إلى الضمير المتصل في «أخرجكم» فنلاحظ الآتي:

١ ــ أنه جاء متصلاً بالفعل.

٢ ــ أنه جاء مبنياً.

٣ ــ أن العلاقة بينه وبين الفعل هي علاقة التعدية.

٤ ــ أنه جاء مفعولاً به.

٥ ــ أن هذا الضمير كان سبباً في أن يجيء الفعل متعدياً.

ومن هنا نستنتج أن تحليلنا لهذه الجملة كان صرفياً نحوياً، وعليه لا يمكن الفصل بين العلمين، وهاهو تمام حسان يؤكد أن «الإعراب بحاجة إلى نتائج الصوتيات والصرف... ولن نستطيع إلا لأغراض البحث أن نفصل في الفهم بين الصوتيات والصرف والنحو»[١] ولهذا فقد شبه الأنظمة اللغوية بأجهزة الجسم الإنساني وأن وظيفة النمو تعتمد على هذه الأجهزة دون الفصل بينها إلا لأغراض علمية مثلما يعتمد إعراب نص ما على وظائف الأصوات ووظائف المباني ووظائف القرائن[*] ونظام العلاقات.[٢]

٢ ـ الممنوع من الصرف:

توجد بعض الأوزان الصرفية التي تمنع من الصرف بمعنى أنها لا تقبل الجر ولا التنوين، وما الجر والتنوين إلا علامتا إعراب، من هذه الأوزان:

١ ــ وزن أفعل مثل «أحمد» له وزن الفعل.

٢ ــ وزن فعلان الذي مؤنثه فعلى مثل عطشان وعطشى.

٣ ــ وزن أفعل صفة مثل أكبر، أصغر، أفضل.

٤ ــ تمنع صيغة منتهى الجموع من الصرف مثل سلالم.

وتمنع هذه الكلمات من الصرف إذا كانت نكرة أما إذا حليت بـ«ال» أو بالإضافة فلا تمنع من الصرف.

نلاحظ أن هذه الأوزان تتجاذبها ظواهر نحوية تتمثل في التعريف والتنكير والتذكير والتأنيث وما يترتب عليها من أثر في التركيب يؤدي إلى صرف الكلمة أو منعها.

---

(١) اللغة العربية معناها ومبناها لتمام حسان ص ١٨٥.

(*) وظائف القرائن هي ما يقدمه علما الصوتيات والصرف لعلم النحو من قرائن صوتية أو صرفية كالحركات والحروف.

(٢) يراجع م.س، ص.س.

ومن هنا نخلص إلى أن ظاهرة منع الصرف ما هي إلا من الظواهر النحوية الصرفية. ومثل هذا كثير كتثنية الأسماء وجمعها جمعاً سالماً أو مكسراً يؤدي إلى مراعاة وضعية الفعل، فإن كان الاسم جمعاً دل الفعل على الجمع، فكل تغيير في الميزان يتبعه تغيير في شكل التركيب.

كما للمباني الصرفية أهمية كبرى في كونها تساهم في تراكيب الجمل وشكلها وعلاقات هذه المباني بعضها ببعض، ولذا يرى فندريس أن «تصنيف الفصائل النحوية عمل من أعمال الصرف»[١]

الزمن بين الصرف والنحو:

إن الزمن هو خصيصة من خصائص الأفعال إذ إنه ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ماض وحاضر ومستقبل، وتبنى الأفعال فيه «لما يكون ولم يقع وما هو كائن لم ينقطع»[٢]. كما يعد الزمن مفهوماً نحوياً يتقيد الفعل به، ويتوزع على أقسام الكلام الثلاثة إذ نجده في الاسم والفعل والحرف، مما يؤدي إلى توزيعه إلى ثلاثة حقول دلالية زمنية هي:

١ ـ الحقل الزمني الحاضر:

أ ــ الاسم: أسماء الأفعال المعبرة عن الحاضر مثل أف وآه.

ب ــ الحرف: «ما» و«لا» التي تخلصان الفعل للدلالة على الحاضر في مثل لا يحسن بك أن تجامل المنافق.

٢ ـ الحقل الزمني الماضي:

أ ــ الاسم: أسماء الأفعال الدالة على الماضي مثل هيهات وشتان.

ب ــ الحرف: لم في مثل لم يكتب خلصت الفعل للدلالة على الماضي.

٣ ـ الحقل الزمني الاستقبالي:

أ ــ الاسم : أسماء الأفعال الدالة على الاستقبال مثل صه ومه.

ب ــ الحرف: دخول السين وسوف على الفعل تخلصانه للدلالة على المستقبل مثل سيفعل أو سوف يفعل.

أما الأفعال فإن دلالتها الزمنية لا تستمد من صيغتها الصرفية فحسب بل تتعداها إلى السياق كإبرام العقود في البيع والزواج الذي يحدث في الحاضر ويتم بصيغة الماضي كقولك بعتك وزوجتك، ومنها الدعاء يكون بلفظ الماضي وبمعنى المستقبل كقولك: رعاك الله، ومن

(١) اللغة لفندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي القاهرة، ١٩٥٠، ص١٢٦.

(٢) الكتاب لسيبويه، ص ١: ١٢.

هنا فإن التراكيب النحوية هي: «أقدر على تجلية الأبعاد الزمنية من الصيغة الصرفية المفردة»[١] وقد توصل تمام حسان باستعانته بالأفعال الناقصة والأدوات إلى تقسيم زمني للأفعال في الكلام الخبري وفي الكلام الإنشائي مثل: كان فعل، وهل فعل في الماضي البسيط، وكان قد فعل وهل كان قد فعل في الماضي القريب المنقطع، وظل يفعل، وهل ظل يفعل في الماضي المستمر.

وعليه نخلص إلى أن معنى الزمن في اللغة العربية لا يستشف من الصيغ الصرفية بمفردها وإنما هو نتاج التراكيب والأدوات والقرائن التي تؤهله لدلالات زمنية متنوعة بتنوع السياق الواردة فيه.

المستوى النحوي أو التركيبي:

إن عناصر الجملة العربية مرتبة ترتيباً هندسياً خاصاً يوحي بدلالة الجملة الناتجة عن نوع من التفاعل بين العناصر النحوية والعناصر الدلالية «فكما يمد العنصر النحوي العنصر الدلالي بالمعنى الأساسي في الجملة الذي يساعد على تمييزه وتحديده، يمد العنصر الدلالي العنصر النحوي كذلك ببعض الجوانب التي تساعد على تحديده وتمييزه إذ يوجد بين العنصرين أخذ وعطاء وتبادل تأثيري دائم»[٢]. وكمثال على ذلك قولك أكرم محمد علي وأكرم علي محمدا، فتغيير مكان الكلمات في الجملة أدى إلى تغيير في الوظيفة النحوية الذي أدى بدوره إلى تغيير في الدلالة.

وعليه فإن للمستوى النحوي أو التركيبي أهمية كبيرة في الدراسات اللسانية، لأن معرفة المركبات اللغوية التي يتألف منها التركيب اللغوي ــ الذي يشتمل جملة مفهومية أساسية أو مشتقة ــ لهي أمر مهم. والمركبات اللغوية في الجملة وما ينتج عنها من دلالات مختلفة لمهم كذلك إذ إن معرفة البنية النحوية ومعرفة البنية الدلالية التي تفرزها اللغة العربية لهذه البنية ليُسَهِّلُ عملية التعلُّم والتعليم والتوصيل.

كما يعمل هذا المستوى على معرفة التراكيب اللغوية التي يتألف منها النص لأن هذا الأخير هو عبارة عن وحدة لسانية قائمة بذاتها تتشكل من ضوابط لسانية تؤلف أجزاء هذه الوحدة اللسانية.

---

(١) في علم اللغة لغازي مختار طليمات، الطبعة الثانية ٢٠٠٠، دار طلاس، دمشق، ص١٩٩.

(٢) النحو والدلالة ــ مدخل لدراسة المعنى النحوي لمحمد حماسة عبد اللطيف، الطبعة الأولى، ١٩٨٣، القاهرة، مصر، ص ١١٣.

فالتراكيب اللغوية تتلون دلالة الكلمة فيها عندما تحل في موقع نحوي معين في التركيب الإسنادي وعلاقاته الوظيفية كالفاعلية والمفعولية والحالية والنعتية والإضافة والتمييز والظرفية، وما إلى ذلك من الأساليب اللغوية، من ذلك قول أحد الشعراء:

فأومأت إيماءً خفياً لحبتر *** ولله عينا حَبْتَرٍ أيُّما فتى

لقد أمر الشاعر ابن أخته حَبْتَر بنحر ناقة فأومأ إليه بذلك حتى لا يشعر به أحد ففهم حَبْتَر إشارته لذكائه وحدة بصره. فقوله: إيُّما فتى، إنما تدل على المدح والتعجب الذي تدل عليه حبذا[١]. ومثل هذا كثير مما يدل على الفاعلية أو المفعولية أو الإضافة إلى غير ذلك من التراكيب النحوية ذات الوظائف الدلالية المتنوعة.

وإنه لمن الأهمية بمكان أن نبين القيمة العلمية للمعاني النحوية إذ تتجسد هذه الأخيرة في اتحاد أجزاء الكلام وتداخل بعضها مع بعض في بناء محكم، ووضع الجملة في النفس وضعاً واحداً لا تحيد عنه إلى غيره[٢]، وفي ذلك يقول عبد القاهر الجرجاني، «وليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها»[٣].

إن أهم ما ترتبط به المعاني النحوية ظاهرة الإعراب، إذ تعد من خصائص اللغة العربية الممثلة في الحركات الإعرابية المجسدة للمعاني النحوية. وقد درسها القدماء في مؤلفاتهم حيث أشار أحمد بن فارس إلى ذلك بقوله: «من العلوم الجليلة التي خصت العرب، الإعراب الذي هو الفارق بين المعاني المتكافئة في اللفظ، وبه يعرف الخبر الذي هو أصل الكلام ولولاه، لما مُيِّزَ فاعل من مفعول، ولا مضاف من منعوت، ولا تعجب من استفهام، ولا صدر من مصدر، ولا نعت من توكيد»[٤]، ويضيف مؤكداً على أهمية الإعراب «ولما أصابت العربية حظاً من التطور، أضحى الإعراب أقوى عناصرها وأبرز خصائصها بل سر جمالها وأمست قوانينه وضوابطه هي العاصمة من الزلل والمعوضة عن السليقة»[٥]

فالتراكيب النحوية أساسها الأسماء والأفعال والحروف، تكوِّن لحمتها بترابطها مع بعضها البعض في ائتلاف دقيق بين كلماتها تبرز معانيها النحوية، وهذا ما أكده عبد القاهر الجرجاني بقوله: «هذا وأمر النظم في أنه ليس شيئاً غير توخي معاني النحو بين الكلم، وأنك

(١) يراجع الكتاب لسيبويه، ص: ٢ ــ ١٨٠.

(٢) يراجع المسار الجديد في علم اللغة العام لوليد محمد مراد، الطبعة الأولى ١٩٨٦، مطبعة الكواكب بدمشق، ص ١٤٤.

(٣) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، الطبعة الأولى ١٩٦٩، مكتبة القاهرة، ص ١١٧.

(٤) الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق السيد أحمد صقر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ١٩٧٧، ص ٧٦.

(٥) م.س، ص ٤٢.

ترتب المعاني في نفسك ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك، وإنا لو فرضنا أن تخلو الألفاظ من المعاني لم يُتَصَوَّرْ أن يجب فيها نظم وترتيب»[١]

ومن هنا فإن العلامة الإعرابية في التراكيب النحوية ما هي إلا مميِّز نحوي يعد «رمزاً في غاية الإيجار يحول دون اختلاط المعاني ويمنع الالتباس، ويصنف المفردات المضبوطة بالحركة في باب من أبواب النحو»[٢] إن هذا الرمز البسيط المتمثل إن هذا الرمز البسيط المتمثل في العلامة الإعرابية ليحدد وظائف الكلمات في التراكيب اللغوية وذلك وفق ما جاءت عليه أواخرها، وما هذا المميِّز النحوي إلا عامل من عوامل عدم الوقوع في الفهم الخاطئ للمعاني المقصودة، إذ به تتحدد الفاعلية والمفعولية والزمانية والمكانية، وبالتالي فهو يمتاز بطبيعة وظيفية تكشف عن معاني الكلمة من خلال ربطها بغيرها في نسق منسجم ومتجانس يُظهر سر جمال اللغة العربية، وسر معانيها، وهذا ما أكده ابن جني بقوله عن الإعراب «هو الإبانة عن المعاني بالألفاظ، ألا ترى أنك إذا سمعت: أكرم سعيد أباه، وشكر سعيداً أبوه، علمت برفع إحداهما ونصب الآخر، الفاعل من المفعول، ولو كان الكلام شرجا[*] واحداً لاستبهم إحداهما من صاحبه».[٣]

نستخلص من فحوى ما سبق أن الدلالة هي الغاية التي ما بعدها غاية حيث ينتهي عندها أي مستوى من مستويات الدرس اللساني إذ تمكننا من معرفة البنية الدلالية للغة العربية، هذه المعرفة التي تساعد المتعلم على استكناه طبيعة الدلالات والمعاني الكامنة في النصوص لتجلية تمفصلاتها الصوتية و التركيبية وما تحمله من أبعادٍ دلاليةٍ، وما تحقيق ذلك إلا من خلال الكشف عن العلائق الدلالية الموجودة في اللغة العربية التي تؤديها أدوار دلالية آلياتها هي المنفِّذ أو الفاعل، والموضوع أو المفعول، والمستفيد من الموضوع، والمكان والزمان الذي تُؤدَّى فيه هذه الأدوار.

إن العلاقات الدلالية الرابطة بين المستويات اللسانية لهي علاقات كلية شمولية، على الرغم من اختلاف طريقة تقديمها ووضعها في قوالب لغوية مختلفة، وبالتالي فهي علاقات تفاعلية بين المستويات اللسانية.

---

(١) دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني، ص ١١٨.

(٢) الألسنية العربية لريمون طحان، ا لطبعة الأولى ١٩٧٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ص ١٣.

(*) الشرج هو النوع.

(٣) الخصائص لأبي الفتاح عثمان بن جني، تحقيق علي النجار، المكتبة العلمية، ص ١: ٣٥.

المصادر والمراجع:

١ ــ الألسنية العربية، ريمون طحان، ط١: ١٩٧٢، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

٢ ــ التصريف العربي من خلال علم الأصوات الحديث الطيب البكوشي، الشركة التونسية لفنون الرسم، تونس .١٩٧٣

٣ ــ تهذيب المقدمة اللغوية للعلايلي، أسعد علي، ط١: ١٩٦٨، دار النعمان ــ لبنان.

٤ ــ الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية.

٥ ــ دراسات في علم اللغة، كمال بشر، ط٢: ١٩٧١، دار المعارف، مصر.

٦ ــ دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ط١: ١٩٦٩، مكتبة القاهرة.

٧ ــ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ابن فارس، ت:السيد أحمد صقر، مط: عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٩٧٧

٨ ــ علم الدلالة، أحمد مختار عمر، ط١: ١٩٨٢، دار العروبة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

٩ ــ في علم اللغة، غازي مختار طليمات، ط٢: ٢٠٠٠، دار طلاس، دمشق.

١٠ ــ كتاب التعريفات، علي بن محمد الشريف الجرجاني، مكتبة لبنان، بيروت .١٩٨٥

١١ ــ الكتاب لسيبويه، ت: عبد السلام محمد هارون، ط٢: ١٩٧٧، مكتبة الخانجي، مصر.

١٢ ــ اللغة، فندريس، ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، ط: لجنة البيان العربي، القاهرة ١٩٨٥.

١٣ ــ اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ط٢: ١٩٧٩، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

١٤ ــ مثلثات قطرب، تحقيق ودراسة ألسنية، رضا السنوسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا ١٩٧٨.

١٥ ــ المسار الجديد في علم اللغة العام، وليد محمد مراد، ط١: ١٩٨٦، مطبعة الكواكب ــ دمشق.

١٦ ــ المنصف، أبو الفتح عثمان بن جني، ت: إبراهيم مصطفى وعبد الله أمين، مط: مصطفى البابي، الحلبي وأولاده، مصر ١٩٥٤.

١٧ ــ النحو والدلالة ــ مدخل لدراسة المعنى النحوي، محمد حماسة عبد اللطيف، ط١: ١٩٨٣ ــ القاهرة.

/ /